

عبيد العفر



★ رجال الهنومي يتخون دجان بيت الإيضا Ebens المحذر لي الصعاب
لؤلهم خلال أليب مجرة ★

★ يقتلون الطفل إذا ولد
وكانت أمه مرضعاً لأخيه
الذي ولد قبله.

★★ يقطعون أنساد من القرى
الأخرى للثيابي بأنهم يملكون
أبو عدد من الزوجيات.

بقلم: هشام سليمان أبو عودة



★ حرب الصداقة ... معركة بالأيدي والكتف بين رجال القرية وبين
رجال قرية حليفة مجرة ... لإقتناء النسب من مسفورهم ★



الدرعوي

نبات، يدعى «عشب موسى»
الخلافة...»

لما اكتواهمهم فيسويها من
الكروم والبريش وملبنتك من
أوراق الأشجار مصغفة قسوت
بعضها البعض في صقوف مثالية
يعتلىة وتقتلنا... وكل عائلته
تتني بيتها الخاضع بيها، حيث
يسلو كخناج مستقل منمحلر
السف... لكن هذه الأكلح يتم
وصليها مع بعضها البعض سقند
دلتري يطلي جميع أكلح القرية
ضفة واحدة، لتصبح كلها تحت
سقف واحد... ويسمونها مثل
هذه القرية بلعهم المظلمة باسم
«الشليوتو»... ويحطون في
وسط القرية عيلاً فسيحاً لا
يعطون سقفه، تعقد قوس
الأجاعات ويقدم المخللات...

ولكي يتعلموا حملتها،
فإن كل قرية تتشأ بحيث أن تضم
قياً على الأقل خمسة عشر رجلاً
من الرجال الأشداء... ويحفظها
فإن أصغر قرية يمكن إنشائها
يلع تعلدتها على الأقل أربعين
لو حيين فرداً بين رجل وامرأة
وطفل... وكلما صغرت القرية
كانت أكثر عرضة للهجوم والقرير
من القرى الأكثر سكاناً والأكثر
قوة... لذلك يحاول الينومامي
أن يمنوا شياهم وصيتهم من
الزواج من خارج حدود القرية
حتى لا يغلبوا الشليوتو...
لكنهم في الوقت نفسه يرحبون

الغاية تحس كثيراً من
الطاهر، والحياة مليحة بالمخزفات
والخوف، والعشو صاكر حيث
وعلتر... أن تصح
«وتيري» WAREMI - تلك
الحارب الشرس التي يخلفه
الجميع ويحرمونه - تلك هو حلم
رجال قبائل
الينومامي... وشهوتهم
بالشراة من بين جميع هنود
أمريكا الجنوبية، بني هنود
الينومامي (وأحياناً فقط
الينوملو) حياتهم حول هدفين
رئيسين: هما القوة أولاً...
والحافزة عليها ثانياً.

وتعدادهم الذي يبلغ خمسة
عشر ألف نسمة، يعيش
الينومامي في قرى متشرة
مشنة في الغابة الاستوائية في
جنوب فنزويلا والأجزاء
المتاخمة لشمال البرازيل.

وتكنولوجيا الينومامي بسيطة
لكنها فعالة... فالمحاربون يصنعون
أدواتهم من خشب النخيل
الغليظ مستخدمين أسنان الخنزير
البري الحادة كالسكين، كما
يصنعون خناجرهم من أسنان
حيوان «الأعوطي» (وهو
حيوان قارض بحجم الأرنب)
ويحلقون شعورهم ببوصة من

* نقطة التوبة بالأحر هي التي تشكل
فلس الينومامي وتقع في جنوب فنزويلا وشرق
البرازيل... في أمريكا الجنوبية *



* رجل يبلغ به بساعة الأروع... والينومامي يحون أطفاله *



قتبائل القمر الدموي

* محارب قبائل « اليانومامي » في غابات أمريكا الجنوبية يستعرضون ثراستهم في رثصة احتفالية... حائلون وساعهم ومعصيم السبي بسونتها والتاروشي. *



* سهام الوي يستخدمونها في الصيد ولي غزواتهم تكون مدعونة بمادة السكرور Cotore وهي مادة سامة *



باللاجئين إليهم من القرى الأخرى... بل ويزوجونهم من بناتهم حتى تزيد القرية عدداً وقوة وعتاداً.

أما نساء اليانومامي، فهن «رهائن» البحث الدائب المستمر لرجال اليانومامي عن القوة والمجد... فالزواج بالنسبة للرجل عملاً سياسياً أكثر منه أي شيء آخر... لذلك عندما يأخذ الرجل امرأة ما كزوجة له، فإنه يأخذها كرقم يضاف إليه... أما الاعتبارات الأخرى

للزواج فهي تأتي فيما بعد... إن بقي لها مكان.

ويعتبر الأقارب بحكم النسب والزواج حلفاء طبيعيين للقبيلة، ويعتبرون عائلة الزوجة حليفاً سيقوي من مركز الزوج، خصوصاً إذا كانت هذه العائلة كبيرة... وكل العائلات تطمح

للتحالف مع الأشداء... لذلك تسمى كل عائلة لتزويج إحدى بناتها لأحد محاربي «الويتيري» الشرسين... لهذا ترى الطبقة من المحاربين قد تزوجوا بالكثير من النساء.

ودينامكية التنظيم الاجتماعي لليانومامي تأسست من سياسة «الحصول على زوجة» كما يقول عالم الأجناس البشرية «نابليون شانليون» في كتابه: «اليانومامو...» الشعب الشرس... أما النوع الأكثر تفضيلاً من التزويجات فهو

يتدفق الدم من أحد الرأسين حتى يلتقط كل رجال القرية عصيهم ويأخذون جانباً من أحد الرجلين المتنازعين .. ويختلط الحابل بالنابل .. وتنتقل النابروشي من رأس إلى رأس .. ويعد القتال وبلتهب سعي النار ، حتى يحل التعب بالجميع .

ونأتي إلى الزوجة الخائنة ، وما يحل بها في المعتاد عقاب صارم ومميز سواء كان لها اختيار فيما حدث أو لم يكن .. إذ تقوم القبيلة بقسطع أذنيها الأنتين .. وفي بعض الأحيان تدفع حياتها ثمناً لما حدث بأن يقوم الزوج بقطع رأسها بضرمة من متجله .. خاصة إذا ما اضطر الزوج بما سيته له أن يتحدي رجلاً من محاربي « الويتيري » الأشداء .. ويقول شانيون في كتابه : « إن رجل اليانومامي سرعان ما يحطم شيئاً بحوزته على أن يسمح للآخرين باستغلاله دون إذن منه .. » ، وهذا القول ينطبق على سلاحه وعلى امرأته على وجه السواء .

سرقة الزوجات

في بعض الأحيان يكتب رجال « الويتيري » زوجات إضافيات بسرقتهم من القرى المجاورة عن طريق الغزو المستمر الذي تشهرون به قبائل اليانومامي .. وغالباً ما تقع

التي يطلقون عليها اسم « نابروشي » بلغتهم المحلية .. وهي عصا رفيعة تشبه عصا البلياردو ويبلغ طولها ثمانية إلى عشرة أقدام .. ويرفعها عالياً وضرب الأرض بنهايتها الأخرى بشكل عمودي .. وينكمئ عليها ، ثم يعرض على خصمه أن يتحداه وذلك بأن يطاقم رأسه عارضاً عليه أن يقوم بضمه بعصاه « النابروشي » على جمجمته ..

وهذا النوع من التحدي لا يقبل الجدل .. فلا تراجع بعد هذه النقطة .. فيصدر الخصم إلى مقابلة التحدي .. فيأخذ يضع خطوات إلى السوراء ممسكاً بالنابروشي بيديه ويهوي بها في ضربة قاصمة على أم رأس الزوج التي يكون قد حلق أصلها كما يفعل الرهبان .. وتم عملية حلق الرأس قبل بدء القتال إمعاناً في التحدي ، ودلالة على عدم الخوف .

ويأتي الآن دور الزوج .. هذا إن بقي متالكاً نفسه ولم تطرحه الضربة الأولى أرضاً .. ويستمر الضرب بالتناوب .. ضربة هنا وضربة هناك .. كلهما على سقف الجمجمة حتى يسقط أحد الرجلين ، أو ينسحب مكللاً بالحزني والعار .. أو عندما يتدفق الدم من أحد الرأسين .. فهو إيدان بنهاية الحرب الثابتة .

ولكن ، هيهات أن ينتهي الأمر بهذه البساطة .. فما إن

من زاوية مختلفة ، فهي هجوم على مركز الزوج قبل الهجوم على شرفه ، لهذا فإن الأمر لا يشمل الإغفال أو التجاهل .. ومع ذلك ، وعندما يصل الشاب إلى سن البلوغ ويحاول أن يقدم نفسه كمحارب شرس ، يبدأ هو بدوره أيضاً بمحاولة الحصول على زوجة حتى لو اضطره الأمر أن يحاول سرقة زوجات الرجال الآخرين ، رغم معرفته بمغبة الحياة .

وكل رجال اليانومامي في الحقيقة يتصيدون الفرص لإيقاع النساء الأخريات في حبائلهم حتى لو كن متزوجات .. وهذه الصفة تعيد إلى الأفعان ذكرى إنسان ما قبل التاريخ والحياة الممجبة التي كان يعيشها .. والتي تعتبر حياة قبائل اليانومامي امتداداً لها حتى في القرن العشرين .

ولإقناع امرأة مترددة .. فإنهم يضغطون بوردرة خاصة بقوة على أنفها مرغمينها على استئاقها .. ويؤمنون بأن هذه البوردرة العجيبة تدغدغ حواس المرأة فتصاع لمأربهم .. لهذا فإن كل الرجال يعملون كياً صغيراً من هذه البوردرة معهم أينما رحلوا وأينما حلوا .

والانتهام بالحياة يوصل دون أدنى ريب إلى عنف قاتل بين الزوج والعاشق .. وما يشير الدهشة أن العنف يبدأ بطريقة منظمة في هذا المجتمع الممجبي ، إذ يستل الزوج الغاضب عصاه



« زواج البدل » .. وهو أن يتزوج أحد الرجال فتاة من عائلة أخرى فيتزوج أمحوها تحت العريس بالنقابل .. وهذه السراطة المزدوجة من شأنها أن تعطيهم حابة معنوية وعملية كافية .

البوردرة السحرية

ورغم أن الزواج عمل ينطوي على السياسة في ذلك المجتمع ، فإن جريمة الخيانة الزوجية تلقى العقاب الصارم الرادع .. لكنهم ينظرون إليها





القتالية على السطح ، ويعرفها القاصي والداني .. وكثيراً ما ترى نساء هذه القرى وقد تجتمعن في مجموعات وأخذن في كيل الشنائم لأزواجهن ناعنات إسام بالجين والمذلة ، مما يثير حمتهم وبذلك تحقق أهدافهن ... وربما كان هذا هو التأثير السياسي الوحيد الذي تتمتع به النساء في مجتمع هنود اليانومامي .

ولكن المرأة قد تكتسب شيئاً من الاحترام عندما تبلغ أرذل العمر ، وتصبح عجوزاً أصابها الوهن .. عندها يعاملها أبناؤها معاملة حسنة ، كما يعاملها أزواج بناتها معاملة مختلفة ، ويعملون لخدمتها مقابل زواجهم من بناتها .. وللنساء السنوات دوراً خاصاً عندهم .. يساعدن على ذلك أنهن محصنات ضد الغزو ، فلا أحد يطمع في اختطافهن .. لذلك فلهن يتنقلن بحرية في أطراف الغابة دون خوف أو عاقبة .. وتناط بهن مهمتين خاصتين : إذ يقمن بحمل الرسائل الشفوية إلى القرى الأخرى .. أو استرداد جثث الرجال الذين قتلوا بالقرب من إحدى القرى المعادية التي قاموا بغزوها .

والمهمة الأخيرة لها أهمية خاصة .. فن عادة اليانومامي أنه إذا مات أحدهم ، قاموا بحرق جثته ، ثم يجمعون بقايا العظام والرماد فيسحقونها

ويزجونها بحساء نبات «موز الجنة» المغلي .. يقوم بعدها أقارب الفقيد وأصدقائه بشرب هذا الحساء .. ويطلقون على هذه الوثيمة الجنائزية اسم «رياهو» . ولشعب اليانومامي «أساطير» كثيرة .. ويقولون عن الروح إنها «شيء معقد» فلها أكثر من جزء واحد .. جزء واحد منها فقط يذهب إلى «بيت الرعد» وهو الجزء «اللافتري» من الروح والذي لم يخلق معها عندما ولد هذا الرجل .. بل اكتسبه خلال تجربة حياته .. ويمكن أن يقال عن هذا الجزء إنه الشخصية التي تميز بها الرجل .. أما الجزء الآخر من الروح فقد قدر عليه أن يهيم إلى الأبد في أرجاء الغابة الفسيحة مروءاً الناس بعينيه المصنوعتين من النار .

وإذا مات طفل .. لهذا الجزء الأول من الروح لديه لم يتكون بعد .. لذلك لا يبقى إلا الجزء الثاني الذي يلجأ إلى الغابة كأحد الأشباح .

ويعامل اليانومامي أطفالهم معاملة حسنة .. ونادراً ما يحتمل الرجال رؤية أحد أطفالهم باكياً في طلب قطعة لحم . وعادة ما يأخذ الأطفال أحسن الأجزاء من فرائس القبيلة . والأطفال الذكور هم المفضلون في العائلة ، ويعمل الرجل على أن يُنشئ أطفاله الذكور ليصبحوا من محاربي

«السوتيري» فيعلمهم العنف والشراسة .. ويكافئ العنف الصادر منهم بضحكة جدلة واستحسان بالغ .. ويقال إن اليانومامي عندما يرزق بوليدته الأول يقوم بقتله إذا كان أنثى ، كما يقوم بقتل أي طفل آخر ، ذكراً كان أم أنثى ، إذا ولد وكانت أمه ما زالت مرضعاً لأخيه الذي جاء إلى الحياة قبله (وفطام الأطفال في هذا المجتمع لا يتم قبل ثلاث سنوات من عمر الرضيع) ... وقتل الأطفال يتم بعدة طرق لا تغفل السواحدة منها وحشية عن الأخرى .. وهم ذلك بشق الطفل بجبل من حبال الكروم .. أو أن يقذف به الأب إلى جذع شجرة من أشجار الغابة الضخمة فينحطم ، أو أن يتركه وحيداً في الغابة ليلق حتفه من الجوع والظما .

وقتل البنات الوليدات يخلق نوعاً من عدم التوازن في نسبة الجنسين .. وتقل نسبة النساء ويشند الصراع من أجل الزواج .. وتزداد حدة الغزو لاختطاف المزيد .. ولكن بمسود الزمن تعود النسبة إلى التوازن مرة أخرى بموت الكثير من الرجال في الخلافات والغزوات والمهجيات الغادرة حتى من الأصدقاء .. ولا توجد صداقة أو تحالف في عالم

المهمة المتعبة تضعهم في موقف خطر لا يجسدن عليه ، إذ قد يتعرضن للعديد من المشاكل كالاختطاف من قبل رجال القرى المعادية .. ولكن رجال القرى المعادية قد يفكرون مرات عديدة قبل الإقدام على ذلك ، خاصة إذا كانت القرية التي يتمين إليها ذات سمعة مدوية من حيث الشراسة والعنف .. لذلك نرى النساء دوماً لحث وتحريض رجالهن لإظهار شراسنهم والتمهي بمعرفتهم بفنون الحرب والغرب حتى تطفو سمعتهم



قبائل القصر الدموي

اليسانومامي .. وحتى إن
وجدا ، فرعان ما يغدرون
بعضهم البعض .

شر لا يد منه

والتحالف في عالم هذا
المتجمع شر لا يد منه .. إذ لا
توجد جماعة قادرة على الوقوف
بمفردها في الساحة ، ولا يوجد
من يعترف بهذا الأمر ..
فلاعتراف به إعلان صريح عن
الضعف واللذلة .. ولهذا فإن
تكوين التحالفات مع القرى
الأخرى يجب أن يتم بطريقة غير
مباشرة .. واليسانومامي
مغرمون بالتجارة .. ولهذا
فإنهم يستغلونها لهذا الغرض ..
فكل قرية تستطيع أن تكتفي
بذاتها ، وتنتج كل ما تحتاجه من
أموال الحياة اليومية .. ولكن مع
ذلك فإن كل قرية تخصص في
إنتاج شيء مميز عن القرية
الأخرى .. فهناك قرية تنتج
المخللات مثل نبات الـ « إينا »
Ebena ، وقرية تنتج الأواني
الفخارية ، وأخرى رؤوس
السهم .. وهكذا .. ونتيجة
لهذا تصبح التجارة بين القرى
ضرورة ملحة .. يستخدم
اليسانومامي تلك الوسيلة لإقامة
علاقات ودية مع الآخرين كنوع
من التحالف العسكري دون
الاضطرار إلى الإفصاح العلني
عن حاجتهم إليه .. وإذا تمت
هذه العلاقة التجارية كما خططوا
لها .. تأتي الخطوة الثانية وهي
الاحتفال .

والاحتفال هو الحدث
الدرامي المثير في حياة
اليسانومامي .. وهو أكثر
فصل من فصول حياتهم
يأخذ وقتاً وجهداً
لإعداده .. إنها ليست مناسبة
لتوطيد التحالف فقط .. بل إنها
أيضاً فرصة نادرة لاستعراض
العضلات وإظهار القوة .. ومن
المثير للسخرية أن هذا الاحتفال
العظيم للصدقة قد يتقلب إلى
احتفال للخيانة والغدر .

يبدأ الاحتفال بأن يقدم
الضيوف غيهمم بالقرب من
جدران الشايونو ، وينهب
رئيسهم إلى وسط ساحة القرية
مخفياً .. وعندما يصل إلى
الساحة يفرس رعبه الطويل في
الأرض بقوة ، ويقف وقفة
كبرياء .. فينتقل صوت رئيس
القرية المضيئة مجلجلاً بالغناء
« إيه .. لا تكونوا شكاكين ..
لقد طلبت منكم أن تأتوا بنية
حثة .. فلم تقتل منكم
أحداً .. ولا أحد غاضب
منكم .. » ، فيرد الضيف مغنياً
هو الآخر : « إيه .. لقد أتينا
لكم من أجل سلالكم
الجميلة .. فاعطونا إياها
لنأخذها إلى قريتنا .. » .

وعندها تنتهي المقدمات
السودية .. ويأخذ الضيوف في
الرقص في وثبات عالية حول
الشايونو .. راقعين رماحهم في
الهواء .. وتقدم لهم القرية حاء
نبات « هوز الجنة » في أوعية
مصنوعة من لحاء الشجر . ويأتي

دور رجال القرية المضيئة للرقص
وإهداء مهارتهم للضيوف .
ويستمر الرقص حتى مطلع
الفجر .. وعند حلول الصباح
يقوم الرجال بلعن أجسادهم
بطلاء أسود (لون الحرب
عندهم) .. ويسدأون في
استشاق دخان نبات الـ « إينا »
الغندر .. وعندها يدب الخوف
في صدور النساء ، فيتسارعن إلى
الخدور لأنهن يعلمن حق العلم ما
سيفعله دخان الإينا في عضول
هؤلاء الرجال الذين أذبلهم
التعاس .. والفعل وبعد لحظات
يقف الرئيس المضيف صارخاً في
ضيوفه : « أنتم الآن غاضبون ..
ونحن غاضبون أيضاً .. دعونا
نتقاتل معاً .. وهكذا نصبح
أصدقاء مرة أخرى .. » .
حرب الصداقة

يا لها من دعوة للصدقة ..
ويتنظم الجمع كل اثنين معاً ..
صيف ومضيف .. في الساحة
الدائرية للقرية وكل واحد منهما
يقدم صدره لآخر ليبدأ
الضرب .. وتنهال اللكمات على
الصدور .. لكمة هنا .. وأخرى
هناك ويعلو الهتاف والتشجيع ..
وتلتهب الصدور وتبرز الكدمات
في الضلوع .. وينسحب بعض
الحارين وقد أصابهم التعب ..
ولا يسبق في الساحة إلا مقاتلي
« الويتيري » الذين تأم عليهم
سمعتهم الاتسحاب . ويسطول
القتال أو يقصر .. لكنه في
النهاية ينتهي ولا يسبق أشر
لغضب الرجال .. فقد أزالته

اللكمات ، ولم يبق منه إلا صدور
متفخخة ، وقبضات تثن
عظامها .. وتعتاق الخصوم
ويقسمون على استمرار الصداقة
إلى الأبد .. ويبدأ الضيوف في
مغادرة القرية متجهين إلى قريتهم
محملين بما استبدلوه من تجارهم
وبالهدايا ، وكثيراً ما ينتهي الأمر
على عكس ما تم التخطيط له ،
إذ يقوم أحد الطرفين بخطف
النساء من الطرف الآخر .
وهكذا تنتهي الصداقة حتى قبل
أن تبدأ .

عصر ما قبل التاريخ

يقول الدكتور كينيث
غود من قسم علم الأجناس
بجامعة فلوريدا
الأميركية .. الذي قضى أربع
سنوات بين قبائل اليسانومامي
بأمريكا الجنوبية منذ عام
١٩٧٥ م : « إن العزلة الرهينة
التي يعيشها اليسانومامي ستصبح
في المستقبل القريب شيئاً من
الماضي .. فرعان ما متصلهم
الحضارة عن طريق شق الطرق
في غابات الأمازون .. وعندها
ستبدأ كتابة التاريخ في هذه
الأنحاء .. ونحن نقول .. إن
هذه المجموعة من البشر ما زالت
تعيش في غياهب الجهول .. وما
زالت تمارس شريعة الغاب ..
وإن تمت كتابة التاريخ في هذا
الجزء غير المكتشف من العالم ..
فإنه لن يتعدى كونه أكثر من
تاريخ أسود بلون العلاء الذي
يدعون به أجسادهم للحرب .